كيف نشكر الله تبارك وتعالى على نعمة الاستقلال؟

(خطبة جمعة 7 من المحرّم 1435هـــ الموافق لـــ 31 أكتوبر 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله تعالى –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله تعالى –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

في هذه الجمعة المباركة حديثنا عن موضوع:

كيف نشكر الله تبارك وتعالى على نعمة الاستقلال؟

إخوتي الكرام،

يقول المولى جلّ في علاه:

" وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿7﴾ " **سورة إبراهيم.**

لئن شكرتم نعمتي لأزيدنّكم منها، وإن سترتموها وجحدتموها أسلبها منكم وأعاقبكم.

قال ابن القيّم – رحمه الله – : (**الشّكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءًا واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبّةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً**) مدارج السّالكين.

إخوتي الكرام،

لقد أكرمنا الله تعالى قبل اثنين وخمسين سنةً بالاستقلال، وينبغي لنا أن نعترف بنعمة الله ونثني عليه جلّ جلاله، وتزيد محبّتنا لله تعالى حينما نتذكّر هذه النّعمة، ونشكر الله تعالى بجوارحنا، فننقاد لأمره ونطيع رسوله، وألاّ نكون كحال بني إسرائيل الّذين حكى

الله لنا حالهم، وكفرهم النّعم الّتي توالت عليهم من الله جلّ جلاله، ويبيّن لنا عاقبة كفرانهم للنّعم حتّى لا نقع فيما وقعوا فيه.

قال تعالى:

" وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿49﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿50﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿51﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿52﴾ " **سورة البقرة.**

وبعد عفو الله عليهم، ماذا يصدر منهم؟

" وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿55﴾ " **سورة البقرة.**

لم ينفع معهم لا عفوٌ ولا عقابٌ:

" ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿56﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿57﴾ " سورة البقرة.

وبعد كلّ هذه النّعم، كان ينبغي لهم التّوبة والخضوع، والاستجابة والاستغفار كما أُمِرُوا:

" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿58﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿59﴾ " سورة البقرة.

" قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿22﴾ " سورة المائدة.

" قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿24﴾ " **سورة المائدة.**

" وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿61﴾ " **سورة البقرة.**

إخوتي الكرام،

لقد أكرمنا الله تعالى بالاستقلال بعد تضحيّاتٍ جسامٍ، مليونٌ ونصف مليون شهيدٍ، ولقد سامنا الاستعمار سوء العذاب، دمّر القرى والمداشر بالطّائرات، وجوّع الجزائريّين وأهانهم، وحرص على إهانتهم، وعذّب ونكّل بالمقاومين والمجاهدين.

وبعد صبرٍ وتضحيّاتٍ ودموعٍ، مَنَّ الله على هذه الأمّة بالفتح المبين، فخرج المستعمر مذلولاً مدحورًا، ولم يكن يتصوّر أن شعبًا بإمكاناتٍ ضعيفةٍ، يمكنه اخراج المستعمر الّذي كان من القوى العظمى في العالم، ولكن الإيمان بالله عزّ وجلّ والإرادة، والإخلاص والتّضحيات جعلت الفارق بين المنتصر والمنهزم.

إخوتي الكرام،

لقد أغدق الله تعالى علينا نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً، فأصبحنا نسكن فسيح البيوت بعدما كنّا في الأكواخ، وأصبحنا نأكل لذيذ الطّعام بعد ما كنّا لا نجد لقمةً نَسُدُّ بها الجوع، وأصبحنا نركب رفيه السّيّارات بعدما كنّا لا نجد ظهرًا نركبه، وأصبح منّا الدّكاترة والأساتذة، والعلماء والمهندسين والأطباء، بعدما كان الجهل يخيّم على الأمّة بعمومها.

هذه نعمٌ جليلةٌ وأفضالٌ كثيرةٌ، ألا تستحقّ شكر الله تعالى؟، ألا تستحقّ الخضوع لشرعه؟، ألا تستحقّ اجتناب ما نهى الله تعالى عنه وقد كفانا الجوع والعطش والمأوى؟، فَلِمَ الرّشوة إذًا؟، وَلِمَ السّرقة إذًا؟، وَلِمَ الاعتداء على النّاس إذًا؟، ولم الزّنا إذًا؟، وَلِمَ؟، وَلِمَ؟، وَلِمَ؟ ،،،

وقد أغنانا الله تعالى بحلاله عن حرامه، وبفضله عمّن سواه.

أخرج أحمد وابن ماجة، وصحّحه ابن حبّان والحاكم، وقال العراقيّ حديثٌ حسنٌ، عن ثوبانٍ – رضي الله عنه – أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: (**لا يَرُدُّ القدر إلاّ الدّعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البِرّ، وإنّ العبد ليحرم الرّزق بالذّنب يصيبه**).

من لم يعش فترة الاستعمار لا يدرك نعمة الاستقلال، ومن لم يعش الاستعباد لا يدرك قيمة الحرّيّة، ومن لم يعش الجهل لا يدرك قيمة العلم والمعرفة والتّعليم المجّاني.

ومن لم يجع لا يدرك قيمة الشّبع والطّعام المتوفّر، ومن لم يعرى لا يدرك قيمة اللّباس.

فهلاّ شكرنا الله تعالى؟، هلاّ أَنَبْنَا إليه؟، هلاّ رجعنا إلى كتابه؟.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

معاشر المسلمين،

لننظر إلى شكر النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ربّه عند فتح مكّة، لّما فتح الله على المسلمين مكّة المكرّمة، ودخلها النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – فاتحًا، دخلها متواضعًا، حتّى أنّ عُثْنُونَهُ ليكاد يُلامس ظهر راحلته، وهو يُطأطأ رأسه، ويقول: (**جاء الحقّ وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقًا**).

وراح يحطّم الأصنام الّتي كانت في الكعبة، وكان بها أكثر من ثلاث مائة صنمٍ، حطّمها النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – إيذانًا بإقامة التّوحيد وتحطّم الشّرك، قال أحد الصّحابة: (**اليوم، يوم الملحمة**)،

فقال النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**اليوم، يوم المرحمة**)،

ثمّ قال لقريشٍ: (**ما تظنّون أنّي فاعلٌ بكم؟**)،

قالوا: (**أخٌ كريمٌ، وابن أخٍ كريمٍ**)،

قال: (**اذهبوا، فأنتم الطّلقاء**).

تلك هي أخلاق المنتصرين عفوٌ وتجاوزٌ، ففتح بذلك قلوبًا، وأنار عقولاً، قبل أن يفتح أرضًا ويسود جزيرةً، فدخل النّاس في دين الله أفواجًا.

الأنبياء والصّالحون والعادلون ملكوا قلوب النّاس وعقولهم بالهدى والحقّ الّذي يحملونه، وأهل الاستبداد ملكوا أجسام النّاس فقط، واشتروا ذممًا، فما استقر لهم قرارٌ.

قال تعالى:

" **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿1﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿2﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿3﴾** " **سورة النّصر.**

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنـًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رِضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها،

واخذل ودمّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.